استماع القرآن الكريم

(فضائل وأحكام ومخالفات)

كتبه

أبوعبدالرحمن

محمود بن محمد الملاح

غفر الله له ولوالديه ولذريته وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فهذه أوراق تتعلق بموضوع استماع القرآن الكريم أخذتها من كتابي (فتح الرحمن في بيان هجر القرآن) بالاشتراك مع أخي الفاضل أبي أنس محمد بن فتحي آل عبدالعزيز –حفظه الله– وهي على النحو التالي :

استماع القرآن الكريم

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : استماع القرآن الكريم .

وفيه أربعة مباحث :

1- معنى السماع والفرق بينه وبين الاستماع.

2- فضائل استماع القرآن الكريم .

3- آداب استماع القرآن الكريم .

4- سبب هجر استماع القرآن الكريم

الفصل الثاني

1- أقسام الناس في سماع القرآن .

2- فتاوى مهمة.

الفصل الثالث

نماذج من استماع القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث :

1- استماع الله سبحانه وتعالى .

2- استماع الملائكة .

3- استماع النبي ﷺ .

4- استماع الكفار .

5- استماع الجن .

6- استماع النصارى .

الفصل الرابع

صور من هجر استماع القرآن

وفيه ثلاثة مباحث :

1- الصياح والغشي عند استماع القرآن .

2- شرب الدخان في مجلس القرآن .

3- استماع الغناء .

نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همنا وغمنا ، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل، وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا ، وأن يوفقنا للعمل به، والتحاكم إليه.

ونسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع بهذا الكتاب ، ويكتب له القبول، وأن يجزي كل من ساهم في إخراجه خير الجزاء، وما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأ، أو زلل ، أو تقصير فمنا، ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وجزى الله خيراً من رأى فيه خللاً فأرشدنا إليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

كتبه أبوعبدالرحمن

محمود بن محمد الملاح

الفصل الأول : استماع القرآن الكريم .

وفيه أربعة مباحث :

1- معنى السماع والفرق بينه وبين الاستماع.

2- فضائل استماع القرآن الكريم .

3- آداب استماع القرآن الكريم .

4- سبب هجر استماع القرآن الكريم

أولاً : معنى السماع

السماع لغةً:

قال ابن منظور – رحمه الله – : سمع : السَّمْعُ حسُّ الأذن، وفي التنزيل: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (37) سورة ق؛ وقال ثعلبُ: معناه: خلا له فلم يشتغل بغيره ، وقد سمعه سَمْعاً وسِمْعاً وسَمَاعاً وسَمَاعة وسَمَاعية ...

قال ابن السكيت: (السَّمْعُ) سَمْعُ الإنسان وغيره، ويكون واحداً وجمعاً، كقوله تعالى: {خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} (7) سورة البقرة . لأنه في الأصل مصدر قولك (سَمِعَ) الشيء بالكسر (سَمْعاً) و (سَمَاعاً) وقد يجمع على (أسماع) وجمع الأسماع (أسامع) .

وقوله تعالى : {وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ} (81) سورة النمل . أي ما تسمع إلا من يؤمن بها ، وأراد بالإسماع ههنا القبول والعمل بما يسمع، لأنه إذا لم يقبل ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع. وسَمَّعه الصوت وأسمعه: استمع له. وتَسَّمع إليه أي أصغى.

وقد تأتي (سَمِعَ) بمعنى أجاب ، ومن أمثلة ذلك: (سمع الله لمن حمده) أي أجاب الله حمده وتقبله ، وفي الحديث : (اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع) أي لا يستجاب ولا يعتد به فكأنه غير مسموع .

والسميع : من صفاته عز وجل وأسمائه، لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي، وسع سمعه الأصوات كلها، قال تعالى : {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا }. وقال: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى } (80) سورة الزخرف.

قال الأزهري: وهو سبحانه سميع ذو سمع بلا تكييف ولا يشبه بالسمع من خلقه ولا سمعه كسمع خلقه ، ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف.

ورجل سَمَّاع إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق به، قال تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} (42) سورة المائدة .

فُسِّر قوله: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} على وجهين : **أحدهما** : أنهم يسمعون لكي يكذبوا فيما سمعوا. **الثاني** : ويجوز أن يكون أنهم يسمعون الكذب ليشيعوه في الناس. والله أعلم بما أراد (1).

السماع اصطلاحاً: قال الإمام ابن القيم: (وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه عنها طلباً أو هرباً، وحباً أو بغضاً.(2))

هل هناك فرق بين السماع والاستماع ؟

نعم، فالاستماع يكون بحضور القلب مع سكون الجوارح بحيث يحصل التدبر؛ لذا يؤجر عليه صاحبه. وأما السماع فيكون بدون قصد ولا إرادة، لذا لا يترتب عليه أجر ولا إثم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فالرجل لوسمع الكفر والكذب والغيبة والغناء والشبابة، من غير قصد منه، كأن كان مجتازاً بطريق فسمع ذلك، لم يأثم، ذلك باتفاق المسلمين، ولو كان الرجل ماراً، فسمع القرآن، من غير أن يستمع إليه، لم يؤجر على ذلك، وإنما يؤجر على الاستماع الذي يقصد) (3).

---

(1) لسان العرب لابن منظور (6/363-365) بتصرف ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى .

(2) (مدارج السالكين (1/517) انظر نضرة النعيم (6/2301)).

(3) مجموع الفتاوى (3/212) .

ثانياً : فضائل استماع القرآن

إن فضائل استماع القرآن الكريم كثيرة، كما أن لتلاوة القرآن الأجر العظيم، فكن – أخي الحبيب – من المحافظين على تلاوته واستماعه، حتى تفوز بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة، وتكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

ومن هذه الفضائل:

1- استماع القرآن سبب لرحمة الله – سبحانه وتعالى – :

قال الله – عز وجل : {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (204) سورة الأعراف .

قال ﷺ : **" وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "** (4).

قال الليث: يُقَال : ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن، لقول الله جل ذكره: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (204) سورة الأعراف و (لعل) من الله واجبة.(5)

قال الحسن البصري : إذا جلست إلى القرآن فأنصت له .(6)

وقد اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية ، وأن الأمر بالاستماع والإنصات في حق مَنْ ؟ فمنهم مَنْ قال : في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة ، وآخرون قالوا : في

---

(4) رواه مسلم (6726) وأبوداود والترمذي مختصراً عن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً .

(5) فضائل القرآن وآداب التلاوة للإمام القرطبي ص (12) تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر المكتب الثقافي.

(تنبيه) لنا بعض الملاحظات على تحقيق الدكتور المذكور آنفاً للكتاب منها :

1- لم يخرج الأحاديث النبوية ، بل تركها كما هي ، والكتاب به الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

2- ملأ الكتاب بالتعليقات التي تدل على منهجه الاعتزالي من تقديم العقل على النقل ، وتأويل الصفات وتعطيلها .

مثال : نفى الشفاعة يوم القيامة ص (11) ، فسر (استوى) بمعنى (استولى) ص (25) ، ويد الله بمعنى قدرة الله ص (26) ، ونفى صفة الكلام لله ص (34) وغيرها .

3- ينفي النسخ في القرآن ص (29) كما يشكك في الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام إن لم يكن يرده مطلقاً ص (51 ، 52 ، 96) .

(6) تفسير ابن كثير (2/268-287) طبعة المكتبة القيمة .

الصلاة والخطبة يوم الجمعة ، وغيرهم قال : الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الإمام من الصلاة وهذا اختيار ابن جرير الطبري (7).

والذي يظهر والله أعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإن كان في الصلاة أشد مطلوباً لمكان القرب والتأثر.

2- استماع القرآن سبب لتحصيل الأجر العظيم

وكما عرفنا أن مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، فإن الأجر لا يتوقف على التلاوة فحسب، بل إن استماع القرآن الكريم - إذا أخلص الإنسان نيته لله – من الأسباب المعينة على تكثير الحسنات، ومضاعفة الطاعات، ومن أفضل القربات.

قال أبوهريرة ﵁: (مَنْ استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كُتب له حسنة مضاعفة ، ومَنْ تلاها كانت له نوراً يوم القيامة) (8) .

3- استماع القرآن سبب لهداية الإنسان

لقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن القرآن مصدر الهداية في الدنيا والاخرة، ومن تمسك به تلاوة واستماعاً وعملاً وتدبراً فلن يضل أو يشقى، قال تعالى: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (9) سورة الإسراء.

وإن استماع القرآن من الأعمال الصالحة التي بشر القرآن أصحابها بالهداية، ووصفهم بأنهم أصحاب العقول السليمة الراشدة فقال عز وجل : { فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (17-18) سورة الزمر.

---

(7) المرجع السابق .

(8) (ضعيف مرفوعاً ، صحيح موقوفاً) رواه أحمد مرفوعاً(341/3) وضعفه المنذري في الترغيب (345/2) ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء (320/1) : (وفيه ضعف وانقطاع) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (5408) ، وقال محقق التبيان ص (73) : وفيه الحسن البصري مدلس ولم يصرح بالسماع وقد اختلف في سماعه من أبي هريرة ، وعباد بن ميسرة ضعيف ، فالحديث ضعيف مرفوعاً ، صحيح موقوفاً) طبعة مكتبة ابن عباس المنصورة .

4- استماع القرآن سبب لتحصيل النور

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : (من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كانت له نوراً) (9).

إن الاستماع إلى القرآن الكريم يكسب صاحبه نوراً في الدنيا : ينير له الطريق، ويبدد به الظلمات ، ويكسب به الشبهات، ويقمع به الشهوات، ويقضي به على الضلالات، وكذلك يكسب صاحبه نوراً في الآخرة: يمشي به على الصراط، وينجو به من المهلكات حتى يفوز بجنة الله خالق الأرض والسموات، فمن دعاء المؤمنين : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (8) سورة التحريم.

فوائد الاستماع:

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – :

(فهذا السماع حادٍ يحدو القلوب ، إلى جوار علام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح، وحرك يثير ساكن العزمات، إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات، ومنادٍ ينادي للإيمان، ودليل يسير بالركب في طريق الجنان، وداع يدعو القلوب بالمساء والصباح من قبل فالق الإصباح (حي على الفلاح، حي على الفلاح) .. فلم يعدم من اختار هذا السماع إرشاداً لحجة، وتبصرة لعبرة، وتذكرة لمعرفة، وفكرة في آية، ودلالة على رشد، ورداً على ضلالة، وإرشاداً من غيّ، وبصيرة من عمى، وأمراً بمصلحة، ونهياً عن مضرة ومفسدة، وهداية إلى نور، وإخراجاً من ظلمة ، وزجراً عن هوى، وحثاً على تقى، وجلاء لبصيرة،

---

(9) (صحيح الإسناد) رواه الدارمي في سننه برقم (3367) (وفيه رزين بن عبدالله بن حميد لم أقف على من ترجم له ، وأما عنعنة ابن جريج فلا تضر عن عطاء لأنه قال : إذا قلت : قال عطاء ، فهو سماع وإن لم أقل : سمعت ، وقد تابع رزيناً عبدالرزاق (6012) فصح الإسناد) . نقلاً عن تخريج التبيان ص (73) مكتبة ابن عباس المنصورة .

وحياة لقلب، وغذاء ودواء وشفاء، وعصمة ونجاة، وكشف شبهة، وإيضاح برهان، وتحقيق حق، وإبطال باطل ...)[10].

---

[10] مدارج السالكين لابن القيم (535/1) طبعة دار الجيل .

ثالثاً : آداب استماع القرآن الكريم

قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (2) سورة الأنفال . يذكر الله – تعالى – حال المؤمنين عند استماع آيات القرآن الكريم أنهم يُلقون إليها الأسماع في إصغاء وخشوع، وأدب وخضوع، وصمت وادِّكار، وتفكر واعتبار؛ مؤمنين بأن ما يسمعونه هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على سيد المرسلين, فوعاه قلبه، ونطق به لسانه، وبلغّه إلى أمته أداء للأمانة ، وإبلاغاً للرسالة، فرقاناً بين الحق والباطل، هادياً إلى سبيل الرشاد، مبشراً بالوعد الصادق مَنْ أذعن له وأطاع، منذراً بالوعيد العدل مَنْ تمرد عليه وعصى، مذكراً بأيام الله وما خلا من قرون ، ومضى من شئون، ذاكراً ما أعدَّ الله للمتقين من جنات وعيون، ونعيم مقيم، وما أعد للكافرين من نار موقدة، وعذاب دائم أليم.

فترى المؤمنين عند تلاوته وسماعه قد خشعت أصواتهم لرهبته ، ووجلت قلوبهم لخشيته ، وذرفت عيونهم من مخافته ، وأقبلوا على ربهم تائبين ، ومن ذنوبهم مستغفرين، وفي رضاه طامعين ، ومن غضبه وجلين .

ذلك كان شأن الصحابة – رضوان الله عليهم – ، والصدر الأول من المسلمين عند سماع القرآن وتلاوته وذلك ما تشير إليه الآية ، في وصف المؤمنين أنهم إذا ذكر الله بصفات الجلال ، وأنه القاهر فوق عباده ، المنفرد بالقدرة والسلطان والقوة والجبروت – وجلت قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته ، وفقهوا ما في ثناياها من معان وأحكام، وبشارة ونذارة ، ووعد ووعيد ، وعظات وأمثال — قوي يقينهم بالله ، وأقبلوا على ما فيه رضاه ، وأعرضوا عما يسخطه ، ولا يرضاه كما يشير إليه قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (204) سورة الأعراف .

فإن الأمر بالاستماع والإنصات عند قراءته في الصلاة وخارج الصلاة أمر صريح، وقد جعله الله مناط الرحمة ؛ ليُعلم أن اللغو عند قراءته والتصدية والمكاء، والجَلَبة والضوضاء من موانع الرحمة ، ونعوذ بالله ممن يضل سعيه ، فيحول بعمله بين نفسه ورحمة ربه .

فأين نحن الآن من أسلافنا ؟ وهم القدوة في الهدى ، وقد اتخذنا القرآن أغاني فالقارئ يفنن في النغم والتلحين، ويخرج به عن سنن الترتيل وقواعد التجويد، ويعيد الآية عند

استحسان السامعين للنغمة وطلبهم الإعادة ، والسامع يستخفُّه الطرب، لا من معاني القرآن، بل من حسن التوقيع وموسيقى الشيطان ، وأفانين الألحان؛ فيصيح في نهاية الآيات بكلمات الاستحسان، والثناء على القارئ والدعاء له، وطلب الإعادة منه، وغير ذلك مما يستحي المؤمن الوقور من ذكره، وكثيراً ما يكون ذلك في بيوت الله التي شرفها الله تعالى بإضافتها إليه، وجعل لها حُرمةً، وللدخول فيها والمكث بها آداباً وسنناً.

وكيف نرجو الثواب، ونقصد التعبدَّ بالقراءة والسماع؟ والأمر على ما وصفنا: من حركات طائشة، وكلمات مرذولة، وصياح وضوضاء، واستحسان للنغمات، وإغراء بالمزيد منها، وطلب الإعادة للآية لحسن التوقيع، وانتهاكٍ لحرمة المساجد، وتجاوز في القراءة للحدود المرسومة المروية عن القدوة وأئمة الهدى؟!.

وأين الخشية من الله ، والخوف عند تلاوة آية العذاب الذي تنخلع من هوله القلوب؟ والرهبة من آية الوعيد الذي يشق المرائر؟ وأين الخشوع والتفكر؟ وأين التوبة والاستغفار من الذنوب عند الذكر ؟ (11).

قال الشيخ عبدالعظيم بن بدوي – حفظه الله – :(12)

(ولقد أمر الله – سبحانه – النبيين وأتباعهم المؤمنين بالاستماع للوحي عند تلاوته ونهاهم عن الانشغال عن الاستماع لما يوحي بأي شيء ولو بتلاوة الوحى نفسه، قال تعالى لموسى عليه السلام : {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} (13) سورة طه، وكان النبي ﷺ إذا قرأ عليه جبريل القرآن القرآن تعجل بالقراءة خلفه خشية النسيان، فقال الله : {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (16-19) سورة القيامة .

وقال للمؤمنين: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، لأنه بالاستماع يحصل الفهم المؤدي للعمل .

ومن أدب الاستماع :

---

(11) القرآن آداب تلاوته وسماعه لـ (حسنين محمد مخلوف) ص (24-26) مطبعة لجنة البيان العربي الطبعة الأولى 1958م .

(12) مجلة التوحيد ص (12-13) عدد ربيع الآخر 1417هـ السنة (25) .

1- سكون الجوارح . 2- وغض البصر . 3- والإصغاء بالسمع .
4- وحضور القلب . 5- والعزم على العمل .

فذلك هو الاستماع الذي يحبه الله تعالى ، وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع ، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى ، ويحضر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه ، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما فهم .

قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر (13).

فإذا استمع العبد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بنية صادقة كما يحب الله أفهمه الله كما يحب ، وجعل له في قلبه نوراً ، وكان من أهل البشارة التي أمر الله نبيه أن يبشر بها : {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (18) سورة الزمر ، وهكذا شهد الله لمن يحسن الاستماع إلى كتابه بالهداية والعقل، وذم الذين يسيئون الاستماع إلى الوحي وحكم عليهم بالضلال وشبههم بالأنعام، فقال {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ} (16) سورة محمد. وقال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (37) سورة ق . أي: أنه وجه سمعه، وأصغى حاسته إلى ما يتلى من الوحي وقلبه حاضر يفهم ما تسمعه الأذن، فإن السماع مع غفلة القلب سماع الذين قال الله فيهم: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ} , وهكذا تضمنت هذه الآية شروط الانتفاع بالقرآن والتأثر به وإفادتها السامعين بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المطلوب، فذكرت أنه لابد من محل قابل للتأثر، وهو القلب الحي، وأنه لابد من تحصيل شرط وهو إصغاء السمع وحضور القلب، وأنه لابد من انتفاء مانع يمنع من حصول الأثر وهو انشغال القلب وذهوله) (14).

---

(13) رواه الدارمي (107/1) بلفظ (يراد للعلم الحفظ والعمل والاستماع والإنصات والنشر).طبعة دار الريان.

(14) راجع شروط الانتفاع بالقرآن الكريم ص(9-11) من كتاب الفوائد لابن القيم . طبعة دار مكتبة الحياة .

رابعاً : سبب هجر استماع القرآن

من الأسباب الرئيسة لهجر استماع القرآن الكريم ، استماع الغناء واللهو والمزمار ، الذي أصبح سمة غالبة لكثير من المسلمين – إلا مَنْ رحم الله – .

ولقد صرح بذلك العلامة ابن القيم – رحمه الله – فقال :

(ومن مكايد عدو الله ومصائده، التي كاد بها مَنْ قَلَّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، **الذي يصد القلوب عن القرآن** ، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان . فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة. وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً. فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ؟ ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكئوس فلغير الله، بل للشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق. حتى إذا عمل السكر فيهم عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله ، وخز في صدورهم وخزاً، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزاً، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسط الدمار.

فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام ، قضوا حياتهم لذة وطرباً واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، **مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور الرحمن**، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيهم وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً حتى تُلِيَ عليه قرآن الشيطان، وولج مزموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه

فصفقت وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زمراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت.

فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن ؟ وهذه الأحوال السنيات ، عند تلاوة السور والآيات؟ ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدراً وشرعاً، والمشاكلة سبب الميل عقلاً وطبعاً ، فمن أين هذا الإخاء والنسب؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللاً؟ قال تعالى{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } (50) سورة الكهف (15).

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في موضع آخر :

(والسلف الصالح كانوا يجدون الأذواق الصحيحة المتصلة بالله في الأعمال الصحيحة المشروعة ، وفي قراءة كتاب الله وتدبره واستماعه ، وفي مزاحمة العلماء بالرُّكب ، وفي الجهاد في سبيل الله ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي الحب في الله ، والبغض فيه ، وتوابع ذلك فصار ذوق المتأخرين – إلا مَنْ رحم الله – في اليراع (القصبة التي يصفر بها الراعي) والدف والمواصيل والأغاني المطربة ومن الصور المستحسنة والرقص والزعقات ، وتعطيل ما يحبه الله ويرضاه من عبوديته المخالفة لهوى النفوس ، فشتان بين ذوق الألحان وذوق القرآن ، وبين ذوق العود والطنبور ، وذوق (المؤمنين) و (النور) ، وبين ذوق الزَّمْر وذوق (الزُمَر) ، وبين ذوق الناي وذوق (اقتربت الساعة وانشق القمر) وبين ذوق المواصيل والشبابات وذوق (يس) و (الصافات) ، وبين ذوق غناء الشعر وذوق سورة (الشعراء)، وبين ذوق سماع المكاء والتصدية، وذوق (الأنبياء) ، وبين الذوق على سماع تذكر فيه العيون السود والخصور والقدود، وذوق سماع سورة (يونس) و (هود)، وبين ذوق الواقفين في طاعة الشيطان على أقدامهم صواف وذوق الواقفين في خدمة الرحمن في سورة (الأنعام) و (الأعراف)، وبين ذوق الواجدين على طرب المثالث والمثاني، وذوق العارفين عند استماع

---

(15) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية (1/229-230) طبعة دار الحديث .

(القرآن العظيم) و (السبع المثاني)، وبين ذوق أولي الأقدام الصافات في حظيرة سماع الشيطان، وذوق أصحاب الأقدام الصافات بين يدي الرحمن.

سبحان الله ! هكذا تنقسم الأذواق والمواجيد ، ويتميز خُلُقُ المطرودين من خُلُق العبيد ، سبحان المِمدِّ لهؤلاء وهؤلاء من عطائه ، والمفارق بينهم في الكرامة يوم القيامة فوالله لا تجتمع محبة سماع الشيطان وكلام الرحمن في قلب رجل واحد أبداً ، كما لا تجتمع بنت عدو الله وبنت رسول الله ﷺ عند رجل واحد أبداً) (16) (17) .

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – موضحاً أقسام الناس في سماع القرآن والغناء .

والناس في السماع أربعة أقسام:

أحدها: مَنْ يشتغل بسماع القرآن عن سماع الشيطان .

الثاني: عكسه (مَنْ يشتغل بسماع الشيطان عن سماع القرآن) .

الثالث: مَنْ له نصيب من هذا وهذا .

الرابع: ليس له نصيب لا من هذا ولا من هذا .

فالاشتغال بسماع القرآن الرحماني حال السابقين الأولين وأتباعهم ومن سلك سبيلهم .

والثاني: حال المشركين والمنافقين والفجار والفساق والمبطلين ومَنْ سلك سبيلهم .

والثالث: حال مؤمن له مادتان : مادة من القرآن ومادة من الشيطان ، وهو للغالب عليه منها .

والرابع: حال الفارغ من ذوق هذا وهذا ، فهو في شأن وأولئك في شأن)(18).

---

(16) عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال : (إن علياً خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول : أما بعد أنكحت أبالعاص بن الربيع فحدثني فصدقني ، وإن فاطمة بضعة مني ، وإني أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد . فترك علي الخطبة) رواه البخاري (3729) كتاب فضائل الصحابة باب ذكر أصهار النبي ﷺ (107/7) فتح الباري طبعة الريان .

(17) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ، ص (108/107) ، تحقيق ربيع بن أحمد خلف نشر مكتبة السنة ، الطبعة الأولى .

(18) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص (246) .

الفصل الثاني

1- أقسام الناس في سماع القرآن .

2- فتاوى مهمة .

أولاً : أقسام الناس في سماع القرآن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :(19)

(أصل السماع الذى أمر الله به هو سماع ما جاء به الرسول ﷺسماع فقه وقبول ولهذا انقسم الناس فيه أربعة أصناف :

الأول : **صنف معرض ممتنع عن سماعه .**

الثاني : **صنف سمع الصوت و لم يفقه المعنى .**

الثالث : **صنف فقه المعنى ولكنه لم يقبله .**

الرابع : **الذى سمعه سماع فقه وقبول .**

فـ (الأول) صنف معرض ممتنع عن سماعه كالذين قال الله فيهم {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} (26) سورة فصلت.

(والصنف الثانى) مَنْ سمع الصوت بذلك لكن لم يفقه المعنى قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } (171) سورة البقرة .

وقال تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} (25) سورة الأنعام . وقال تعالى : {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ * وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ} (43) سورة يونس . وقال تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا} (45-47) سورة الإسراء . وقال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن

---

(19) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (16/8-15) طبعة دار التقوى .

يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} (57) سورة الكهف . وقوله: {أَن يَفْقَهُوهُ} يتناول مَنْ لم يفهم منه تفسير اللفظ كما يفهم بمجرد العربية ومَنْ فهم ذلك لكن لم يعلم نفس المراد فى الخارج وهو من: (الأعيان) و(الأفعال) و (الصفات) المقصودة بالأمر و الخبر بحيث يراها ولا يعلم أنها مدلول الخطاب: مثل مَنْ يعلم وصفاً مذموماً ويكون هو متصفاً به أو بعضاً من جنسه ولا يعلم أنه داخل فيه وقال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} (22-23) سورة الأنفال. قال ذلك بعد قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ} (20) سورة الأنفال.

فقوله : { وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} لم يرد به مجرد إسماع الصوت لوجهين :

(**أحدهما**) أن هذا السماع لابد منه و لا تقوم الحجة على المدعوين إلا به كما قال تعالى : {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ } (6) سورة التوبة ، وقال : { لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ } (19) سورة الأنعام ، وقال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (15) سورة الإسراء .

و(**الثانى**) أنه وحده لا ينفع فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القرآن و كفروا به كما تقدم، بخلاف إسماع الفقه فإن ذلك هو الذي يعطيه الله لمن فيه خير، وهذا نظير ما فى الصحيحين عن النبى ﷺأنه قال : " **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** " وهذه الآية والحديث يدلان على أن من لم يحصل له السماع الذى يفقه معه القول فإن الله لم يعلم فيه خيراً ولم يرد به خيراً و أن من علم الله فيه خيراً أو أراد به خيراً فلابد أن يسمعه و يفقهه إذ الحديث قد بين أن كل من يرد الله به خيراً يفقهه: فالأول مستلزم للثانى، والصيغة عامة، فمن لم يفقهه لم يكن داخلا فى العموم فلا يكون الله أراد به خيراً وقد انتفى فى حقه اللازم فينتفي الملزوم .

وكذلك قوله: { وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ } (22-23) سورة الأنفال. بين أن الأول شرط للثانى: شرطاً نحوياً، وهو ملزوم وسبب، فيقتضى أن كل من علم الله فيه خيراً أسمعه هذا الإسماع، فمن لم يسمعه إياه لم يكن قد علم فيه خيراً فتدبر كيف وجب هذا

السماع، وهذا الفقه، وهذا حال المؤمنين، بخلاف الذين يقولون بسماع لا فقه معه، أو فقه لا سماع معه أعنى هذا السماع .

وأما قوله: { وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} فقد يشكل على كثير من الناس, لظنهم أن هذا السماع المشروط هو السماع المنفي في الجملة الأولى، الذى كان يكون لو علم فيهم خيراً ، وليس فى الآية ما يقتضى ذلك ، بل ظاهرها و باطنها ينافي ذلك ، فإن الضمير فى قوله: { وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ } عائد إلى الضميرين فى قوله: { وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ }, وهؤلاء قد دل الكلام على أن الله لم يعلم فيهم خيراً فلم يسمعهم إذن (لو) يدل على عدم الشرط دائماً وإذا كان الله ما علم فيهم خيراً فلو أسمعهم لتولوا وهم معرضون بمنزلة اليهود الذين قالوا سمعنا و عصينا وهم (الصنف الثالث) .

ودلت الآية على أنه ليس لكل مَنْ سمع و فقه يكون فيه خير بل قد يفقه ولا يعمل بعلمه فلا ينتفع به ، فلا يكون فيه خيراً ، ودلت أيضاً على أن إسماع التفهيم إنما يطلب لمن فيه خير ، فإنه هو الذى ينتفع به ، فأما مَنْ ليس ينتفع به فلا يطلب تفهيمه.

و**(الصنف الثالث) من سمع الكلام وفقهه لكنه لم يقبله ولم يطع أمره** كاليهود الذين قال الله فيهم: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} (46) سورة النساء

.

وقال تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (75) سورة البقرة . إلى قوله: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} (78) سورة البقرة . أي تلاوة.

فهؤلاء من الصنف الأول الذين يسمعون ويقرءون ولا يفقهون ولا يعقلون إلى قوله: {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ} (88) سورة البقرة.

كما قال فى تلك الآية: { لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} (46) سورة النساء

.

وقال فى النساء: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} (155-156) سورة النساء . إلى آخر القصة فأخبر بذنوبهم التى استحقوا بها ما استحقوه ومنها قولهم: {قُلُوبُنَا} .

فعلم أنهم كاذبون فى هذا القول قاصدون به الامتناع من الواجب . ولهذا قال: { بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه } و { طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } فهي وإن سمعت الخطاب و فقهته لا تقبله ولا تؤمن به ، لا تصديقا له ولا طاعة و إن عرفوه كما قال : {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ } (146) سورة البقرة . فـ {غُلْفٌ} جمع أغلف. وأما (غلف) بالتحريك فجمع غلاف، والقلب الأغلف بمنزلة الأقلف فهم ادعوا ذلك وهم كاذبون فى ذلك ، واللعنة : الابعاد عن الرحمة ، فلو عملوا به لرحموا، ولكن لم يعملوا به، فكانوا مغضوباً عليهم ملعونين، وهذا جزاء من عرف الحق ولم يتبعه، و فقه كلام الرسل ولم يكن موافقا له بالإقرار تصديقاً وعملاً.

والصنف الرابع الذين **سمعوا سماع فقه وقبول فهذا هو السماع المأمور** به كما قال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (83) سورة المائدة، وقال تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} (1-2) سورة الجن ، وقال تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (29-31) سورة الأحقاف .

وقال تعالى: {قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً} (107-108) سورة الإسراء .

وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (2) سورة الأنفال .

وقال {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (125) سورة التوبة.

وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا * وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا } (83) سورة الإسراء .

وكذلك قوله: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} (44) سورة فصلت.

ومثله قوله: {هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (138) سورة آل عمران. فالبيان يعم كل من فقهه والهدى والموعظة للمتقين .

وقوله: {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (20) سورة الجاثية. وقوله: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (1-2) سورة البقرة.

وهنا لطيفة تزيل إشكالا يفهم هنا وهو أنه ليس من شرط هذا التقى المؤمن أن يكون كان من المتقين قبل سماع القرآن فإن هذا :

(**أولاً**) : ممتنع ؛ إذ لا يكون مؤمنا متقياً مَنْ لم يسمع شيئاً من القرآن.

(**ثانياً**) : أن الشرط إنما يجب أن يقارن المشروط لا يجب أن يتقدمه تقدماً زمانياً كاستقبال القبلة فى الصلاة .

(**ثالثا**) : أن المقصود أن يبين شيئان :

أحدهما : أن الانتفاع به بالاهتداء والاتعاظ والرحمة هو وإن كان موجباً له لكن لابد مع الفاعل من القابل ، إذ الكلام لا يؤثر فيمن لا يكون قابلاً له ، وإن كان من شأنه أن يهدى ويعظ ويرحم وهذا حال كل كلام .

(الثانى) : **أن يبين أن المهتدين بهذا هم المؤمنون المتقون، ويستدل بعدم الاهتداء به على عدم الإيمان والتقوى، كما يقال: المتعلمون لكتاب بقراط هم الأطباء، وإن لم**

يكونوا أطباء قبل تعلمه، بل بتعلمه وكما يقال: كتاب سيبويه كتاب عظيم المنفعة للنحاة، وإن كانوا إنما صاروا نحاة بتعلمه، وكما يقال: هذا مكان موافق للرماة والركاب).

ثانياً : فتاوى مهمة في استماع القرآن

س: هل استماع القرآن الكريم في قوله تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (**204**) سورة الأعراف. **يدل على الوجوب أو الاستحباب؟**

ج . يشرع لكل مسلم عند سماع القرآن في غير الصلاة: أن ينصت له إعظاماً واحتراماً له؛ لينال رحمة الله سبحانه ، ويتعظ بمواعظه ويعتبر بعبره، قال الله تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (204) سورة الأعراف . وأن لا يعرض عن سماعه وينشغل عنه بغيره مع القدرة على الإنصات، ويتعمد ذلك فيتصف بصفات كفار قريش الذين قال الله عنهم في إعراضهم عن سماع القرآن {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} (26) سورة فصلت.

وأما في الصلاة فيجب على المأموم أن ينصت عند سماع إمامه يقرأ في الصلاة الجهرية وفي صلاة الجمعة والخطبة والعيدين ونحو ذلك؛ ولما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا** "، وأخرج أصحاب السنن نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه . ويستثنى من ذلك قراءة الفاتحة للمأموم في الصلاة الجهرية ، وإن كان الإمام يقرأ ؛ لوجوب قراءتها على كل من الأمام والمأموم والمنفرد؛ لمل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** "، فيخصص هذا الحديث عموم الآية والحديث السابق فيوجوب الإنصات لقرءة القرآن؛ جمعاًبين الأدلة الثابتة الصحيحة، ولما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا خاف رسول الله في صلاة الفجر، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: "**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم**" قلنا نعم. قال : "**لاتفعلوا إلا بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**" رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود بإسناد حسن .(20)

---

(20) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث (ص90)

س : ما حكم الاستماع إلى القرآن المذاع في الراديو ؟

ج – الراديو آلة لا حكم لها في نفسها وإنما الحكم لما يذاع بها، وإن أذيع من الراديو قرآن أو بيان حق لشرائع الله أو مواعظ ترقق القلوب أو أخبار سياسية عادلة يعرف منها الناس أحوال العباد والبلاد ليكونوا على بينة من أمرهم ومما يراد بهم، وليتخذوا لأنفسهم موقفاً سليماً ناجحاً ممن يواليهم ويعاديهم ، أو أذيع منه أخبار تجارية يعرف منها الناس ما ينفعهم في حياتهم وفي معاشهم على غير هذا من المصالح كان السماع خيراً وقد يكون واجباً أحياناً .

وإن أذيع منه غناء ماجن فيه تخنث أو استهتار ، أو أذيع منه أخبار سياسية كاذبة هوجاء سداها قلب الحقائق والتلبيس على الناس ولحمتها هرج للتهريج وإثارة العواطف بقول الزور والإثم والبهتان إلى مثل هذا من الرذائل كان ما أذيع باطلاً لا يليق بالمسلمين السكوت عنه ولا الاستماع له ، اللهم إلا أن يكون من يستمع للأخبار الكاذبة أو الآراء المغرضة والأقوال المنحرفة ممن عندهم وعي ولهم في الأمة شأن ليقوموا بكشف زائفها وبيان دخنها ، وقاية للأمة من قائليها، وصيانة لمن يخشى عليه أن ينخدع بزخرفها (21)

س : ما حكم الاستماع إلى القرآن الكريم أثناء مزاولة العمل؟

ج: يجوز للإنسان أن يستمع للقرآن وهو يزاول عمله .(22)

س: هل يجوز الاشتغال بعمل آخر سواء مذاكرة أو قراءة ... ويوجد في نفس المكان مسجل يقرأ القرآن ؟

ج– قال الشيخ : أبومحمد بن عبدالسلام : (الاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع ، وهو يقتضي أن لا بأس بالتحدث للمصلحة) (23).

س : ما حكم استماع القرآن الكريم على غير طهارة ؟

---

(21) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (130/4) طبعة دار أولي النهى .

(22) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث (ص86)

(23) البرهان في علوم القرآن للزركشي (558/1) طبعة دار الفكر .

جـ- يجوز استماع القرآن على غير طهارة سواء كان الإنسان غير متوضئ أو جنباً أو كانت المرأة حائضاً أو نفساء ، حيث لا نعلم دليلاً يمنع من ذلك ، بل ورد من الأدلة ما يفيد عكس ذلك قال تعالى : {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} (6) سورة التوبة .

فإذا كان المشرك يجوز له أن يسمع كلام الله؛ فمن باب أولى المسلم الموحد على أيه حال.

ومن حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن (24).

وقال العلامة ابن باز . رحمه الله .

(... أما الاستماع لقراءة القرآن فلا حرج في ذلك للجنب ، بل يستحب له ذلك ؛ لما فيه من الفائدة العظيمة).(25)

س : ما حكم الاستماع إلى تلاوة النساء في مسابقات القرآن الكريم التي تقام سنوياً في بعض البلاد الإسلامية؟

ج : لا أعلم بأساً في هذا الشيء إذا كان النساء على حدة والرجال على حدة، من غير اختلاط في محل المسابقة، بل يكُنَّ على حدة، مع تسترهن وتحجبهن عن الرجال.

وأما المستمع فإذا استمع للفائدة والتدبر لكلام الله فلا بأس، أما مع التلذذ بأصواتهن فلا يجوز. (26).

س: ما هو موقف المسلم عند سماع آية من المتشابه من الكتاب العزيز ؟

جـ- عليه أن يقول ابتداءً كما قال الراسخون في العلم : {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} (7) سورة آل عمران ، ثم يسأل أهل الذكر لقول الله تبارك وتعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (7) سورة الأنبياء ، وعليه أن يحذر من الذين يتبعون هذا المتشابه لقول النبي ﷺ

---

(24) رواه البخاري برقم (168) من مختصر صحيح البخاري للألباني .

(25) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (97/29)

(26) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (495/24) . وانظر فتاوى اللجنة الدائمة (126/4)

لعائشة – رضي الله عنها – : " **إذا رأيت الرجل يتبع المتشابه ويترك المحكم فأولئك الذين سمى الله عز وجل فاحذروهم** " (27) .

---

(27) أخرجه البخاري (4547) نقلاً عن : كتاب التسهيل لتأويل التنزيل سورة آل عمران لأبي عبدالله مصطفى العدوي . دار السنة ، الطبعة الأولى .

الفصل الثالث

نماذج من استماع القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث :

1- استماع الله سبحانه وتعالى .

2- استماع الملائكة .

3- استماع النبي ﷺ .

4- استماع الكفار .

5- استماع الجن .

6- استماع النصارى .

نماذج من استماع القرآن الكريم

أولاً : استماع الله سبحانه وتعالى

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن يجهر به** " (28).

معنى قول النبي ﷺ " **ما أذن الله** ... " .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (قوله : " **أن يتغنى** "كذا لهم ، وأخرجه أبونعيم من وجه آخر عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه بدون " **أن** " وزعم ابن الجوزي أن الصواب حذف " **أن** " وأن إثباتها وهم من بعض الرواة لأنهم كانوا يروون بالمعنى فربما ظن بعضهم المساواة فوقع في الخطأ لأن الحديث لو كان بلفظ "**أن**" لكان من الإذن بكسر الهمزة وسكون الذال بمعنى الإباحة والإطلاق ، وليس ذلك مراداً هنا وإنما هو من الأَذَن بفتحتين وهو الاستماع وقوله : " **أذن** " أي : استمع ، والحاصل ان لفظ أَذِن بفتحة ثم كسرة في الماضي وكذا المضارع مشترك بين الإطلاق والاستماع، تقول: أذنت آذن بالمد ، فإن أردت الإطلاق ، فالمصدر بكسرة ثم بسكون، وإن أردت الاستماع فالمصدر بفتحتين :

قال عدي بن زيد :

أيها القلب تعلل بددن إن همي في سماع وأذن

أي : في سماع واستماع ....

قلت : (**الحافظ**) : ومع ذلك كله فليس ما أنكره ابن الجوزي بمنكر بل هو موجه ، وقد وقع عند مسلم في رواية أخرى كذلك ووجهها عياض بأن المراد الحث على ذلك والأمر به) (29).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله – :

(والأذن بمعنى الإذن الذي هو إطلاق وإباحة غلط من وجهين :

أحدهما : من اللغة ، والثاني : من إحالة المعنى عن وجهه .

---

(28) رواه البخاري (5023) ومسلم (1814) وأبوداود (1473) وأما حديث « إن الله لا يأذن لشيء من أهل الأرض إلا لأذان المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن » فهو حديث موضوع راجع ضعيف الجامع للألباني (1672) .

(29) فتح الباري (687/8) بتصرف .

أما اللغة فإن الأذن مصدر قوله : أذن فلان لكلام فلان ، فهو يأذن: إذا استمع له وأنصت ، كما قال تعالى: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} (2) سورة الإنشقاق، بمعنى سمعت لربها وحُقَّ لها ذلك ، كما قال عدي بن زيد :

.... إن همي في سماع وأذن (30).

بمعنى ، في سماع واستماع . فمعنى قوله : " **ما أذن الله لشيء** " إنما هو: ما استمع الله لشيء من كلام الناس ما استمع لنبي يتغنى بالقرآن .

وأما الإحالة في المعنى ، فلأن الاستغناء بالقرآن عن الناس غير جائز وصفه بأنه مسموع ومأذون فيه انتهى كلام الطبري) (31).

قال الإمام النووي – رحمه الله – :

ومعنى أذن في اللغة : الاستماع ، ومنه قوله تعالى : {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} (2) سورة الإنشقاق (32).

هكذا يتضح من خلال عرض أقوال أهل العلم أن معنى (**ما أذن الله**) أي ما استمع الله ، **ولكن ما معنى استماع الله ؟**

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – :

(أصل الأَذَن بفتحتين أن المستمع يميل بأذنه على جهة مَنْ يسمعه ، وهذا المعنى في حق الله لا يراد به ظاهره ، وإنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف المخاطب ، والمراد به في حق الله تعالى إكرام القارئ وإجزال ثوابه ، لأن ذلك ثمرة الإصغاء .

ووقع عند مسلم من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة في هذا الحديث: "**ما أذن لشيء كأذنه** " بفتحتين ، ومثله عند ابن أبي داود من طريق محمد بن أبي حفصة عن عمرو بن دينار عن أبي سلمة ، وعند أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث فضالة بن

---

(30) وهو من أمالي ابن الشجري (36/2) ، وديوان عدي ص (172) . والددن : هو اللهو واللعب .

(31) زاد المعاد (488/1) .

(32) التبيان ص (76) طبعة مكتبة ابن عباس ، عون المعبود (241/4) .

عبيدالله : " **لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته** " (33) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – :

(معنى أذن في اللغة : الاستماع ، ومنه قوله تعالى : {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}، قالوا: ولا يجوز أن تحمل ههنا على الاستماع بمعنى الإصغاء ،فإنه يستحيل على الله تعالى ، بل هو مجاز (34) ومعناه الكناية عن تقريبه للقارئ وإجزال ثوابه لأن سماع الله لا يختلف فوجب تأويله ...) (35) .

قلنا : غفر الله لعلمائنا الأجلاء(36) فقد صرفوا اللفظ عن ظاهره فوقعوا في التأويل ، وكان الأولى بهم بعد أن أثبتوا أن الأذن هو الاستماع ، أن يثبتوا ما يترتب عليه ، وهو أن الله – سبحانه وتعالى – يسمع حقيقة أصوات عباده ، وعلى وجه الخصوص أصوات قراء القرآن

---

(33) (حديث ضعيف) رواه ابن ماجه (1340) وأحمد (19/6) والحاكم (570/1-571) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال : بل هو منقطع . وضعفه الألباني . راجع ضعيف ابن ماجه (363) ، السلسلة الضعيفة (2951) .

(34) تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم يصرح به أحد من ائمة النحاة أهل اللغة كالخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي والفراء وأمثالهم ، وأبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم ، بل إن أول من تكلم منهم هو مَعْمر بن المثنى أبوعبيدة ، صاحب (مجاز القرآن) ، المعطل لأسماء الله الحسنى فجردها عن معانيها ، فاعتقد في التعطيل ثم سن المجاز ليوهم خصومه بأنه دليل ، قال شيخ الإسلام : (لا ريب أن هذا التقسيم موجود في كتب المعتزلة ومَنْ أخذ عنهم وشابههم وأكثر هؤلاء ذكروا هذا التقسيم ، وأما من لم يكن كذلك فليس الأمر في حقه كذلك) مجموع الفتاوى (404/20) ، راجع الأدلة على فساد هذا الرأي في كتاب (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز) للشنقيطي – رحمه الله–.

(35) عون المعبود (241/4) .

(36) (موقفنا من أبي بكر الباقلاني والبيهقي وأبي الفرج بن الجوزي وأبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأول الصفات أو بعضها أو فوضوا في أصل معناها أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم ، فرحمهم الله رحمه واسعة وجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة – رضي الله عنهم – وأئمة السلف في القرون الثلاثة الذين شهد لها النبي ﷺ بالخير وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السلف – رحمهم الله –سواء تأولوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك) (فتاوى اللجنة الدائمة) من فتوى رقم (5082) .

، سمعاً يليق بعظمته وجلاله واقتداره ، لا يشابه صفات خلقه مثل سائر الصفات، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. كما صرح بذلك الحافظ المفسر العلامة ابن كثير – رحمه الله – حيث قال : (ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك أن يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم ، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم .

كما قالت عائشة – رضي الله عنها – : (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها)، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم.

كما قال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا } (61) سورة يونس.

ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم .

ومنهم مَنْ فسر الأذن هنا بالأمر ، والأول أولى؛ لقوله : **"ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن "** أي يجهر به ، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه ، وكما قال تعالى: {إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}(1. 2) سورة الإنشقاق □ أي: استمعت لربها وحُقَّ لها أن تستمع أمره وتطيعه ، فالأذن ههنا هو الاستماع ، ولهذا جاء في الحديث رواه ابن ماجه بسند جيد(37) عن فضاله بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ : **"لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَينة إلى قينته "**(38)

---

(37) الحديث ضعيف ، أخرجه ابن ماجه (1340) وأحمد (20/6) وغيرهم راجع السلسلة الضعيفة (2951) .

(38) تفسير ابن كثير (1/258. 259) تحقيق أبي إسحق الحويني .

ثانيًا : استماع الملائكة

إن الملائكة الكرام يحبون استماع القرآن الكريم ، وتحف مجالسه ، وأحياناً تتنزل لاستماعه والإنصات إليه ، وقد وضحت الأدلة الصحيحة هذا الأمر وبينته بياناً شافياً، فمنها :

استماع الملائكة لقرآن الفجر

قال تعالى : {أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (78) سورة الإسراء .

والمقصود بـ {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ }: قال مجاهد : صلاة الفجر .

أي أن القرآن الذي يتلوه الإمام في صلاة الفجر تشهده الملائكة (ملائكة الليل وملائكة النهار) ؛ ولذلك كان هدي النبي ﷺ في صلاة الفجر ، أنه كان يطيل القراءة فيها أكثر من غيرها من سائر الصلوات ، فكان يقرأ فيها ما بين الستين إلى المائة آية.

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح"** يقول أبوهريرة: اقرءوا إن شئتم: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}(39).

عن أُسَيْد بن حُضَير ﷺ قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس ، فسكت فسكت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجْتَرَّهُ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراه ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: "**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**" قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفتُ إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثلُ الظُّلَّة فيها أمثالُ المصابيح، فخرجتُ

---

(39) رواه البخاري ح (4717) باب (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) .

وأما حديث " إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته " هذا حديث منكر منقطع قاله الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (328/1) طبعة الريان .

حتى لا أراها، قال: " **وتدري ما ذاك؟**" قال: لا، قال: " **تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم**"(40).

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

قوله : " **اقرأ يا ابن حضير** " أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك ، وليس أمراً له بالقراءة في حاله التحديث ، وكأنه استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى، فكأنه يقول : استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك ، وفهم أُسَيْد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة أن تطأ الفرس ولدي، ودل سياق الحديث على محافظة أسيد على خشوعه في صلاته لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه ، وكأنه كان بلغه حديث النهي عن رفع المصلي رأسه إلى السماء فلم يرفعه حتى اشتد به الخطب ؛ ويحتمل أن يكون رفع رأسه بعد انقضاء صلاته فلهذا تمادى به الحال ثلاث مرات . ووقع في رواية ابن أبي ليلى المذكورة " **اقرأ أبا عتيك** " وهي كنية أسيد . قوله: " **دنت لصوتك** " في رواية إبراهيم بن سعد " **تستمع لك** " وفي رواية ابن كعب المذكورة " **وكان أسيد حسن الصوت**" وفي رواية يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهاد عند الإسماعيلي أيضاً " **اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود** " وفي هذه الزيادة إشارة إلى الباعث على استماع الملائكة لقراءته.

قال الإمام النووي – رحمه الله – :

وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة، كذا أطلق، وهو صحيح لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحسن الصوت، **قال** : وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة .

قلت (الحافظ ابن حجر) : الحكم المذكور أعم من الدليل فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة ، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ .

وقد أشار في آخر الحديث بقوله : " **ما يتوارى منه** " إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم، وفيه منقبة لأسيد بن

---

(40) رواه البخاري (5018) ومسلم والنسائي .

حضير ، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح) (41).

استماع الملائكة القرآن من ثابت بن قيس ﵁

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح ؟ قال: **"فلعله قرأ سورة البقرة"** قال: فسئل ثابت ؟ فقال: قرأت سورة البقرة.(42)

استماع الملائكة القرآن من قارئه

وبَيّنَ النبي ﷺ أن الملائكة تحف مجالس القرآن تستمع وتنصت فقال : **" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"**(43).

عن علي ﵁ قال : أمرنا بالسواك وقال : (**إن العبد إذا قام يصلي أتاه مَلَكٌ فقام خلفه يستمع القرآن ويدنو ، فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه ، فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف المَلَك**) (44).

---

(41) فتح الباري (682/8) .

(1) تفسير ابن كثير (250/1) تحقيق أبي إسحق الحويني الذي قال في الهامش: (وعزاه الحافظ في الفتح(75/9) لأبي داود . وقال: من طريق مرسلة. وقال الحافظ ابن كثير في أول سورة البقرة: هذا إسناد جيد. إلا أن فيه إبهام. ثم هو مرسل).

(43) رواه مسلم (6726) وأبوداود والترمذي وابن ماجه والنسائي في الكبرى وأحمد وغيرهم .

(44) (صحيح لغيره) انظر السلسلة الصحيحة (1213) .

ثالثاً : استماع النبي ﷺ

لقد كان النبي ﷺ يحب استماع القرآن الكريم ويطلب من غيره أن يسمعه القرآن ، ويقف أحياناً فترات طويلة ينصت ويستمع لقراءة أحد أصحابه من ذوي الأصوات الحسنة الجميلة .

استماع النبي ﷺ القرآن من ابن مسعود رضي الله عنه

فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ :**"اقرأ عليَّ القرآن"** فقلت : يارسول الله ! اقرأ عليك وعليك أُنْزِل ؟ قال :" **إني أحب أن أسمعه من غيري"** فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا} (41) سورة النساء. قال: " **حسبك الآن**" فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان (45).

قال ابن بطال: (يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون ليتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها، وهذا بخلاف قراءته هو ﷺ على أُبَيّ بن كعب لما تقدم في المناقب وغيرها (46) فإنه أراد أن يعلمه كيفية أداء القراءة ومخارج الحروف ونحو ذلك (47).

وعن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر وإذا ابن مسعود يصلي وإذا هو يقرأ النساء فانتهى إلي رأس المائة فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي . فقال النبي ﷺ: **" اسأل تعطه ، اسأل تعطه ، ثم قال:مَنْ سَرَّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنْزِل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد "**، فلما أصبح غدا إليه أبو بكر رضي الله عنه ليبشره ، وقال له : ما سألت الله البارحة ؟ قال: قلت : اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً

---

(45) رواه البخاري(14582) ومسلم وأبو داود وا لترمذي وأحمد وغيرهم .

(46) عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ لأُبَيّ :" **إن الله أمرني أن اقرأ عليك {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ }** قال : وسماني ؟ قال : " **نعم** " فبكى . رواه البخاري (4959) .

(47) فتح الباري (718/8) .

لاينفد ، ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد . ثم جاء عمر ﷺ فقيل له: إن أبا بكر قد سبقك، قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه (48).

استماع النبي ﷺ القرآن من سالم مولى أبي حذيفة ﷺ

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أبطأتُ على عهد الرسول ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : " **أين كنت ؟** " قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليَّ فقال: " **هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**" (49).

استماع النبي ﷺ القرآن من أبي موسى ﷺ

وعن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال له : " **يا أباموسى ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود** " (50).

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

قوله: " **يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود** "كذا وقع عنده مختصراً من طريق بُرَيد ، وأخرجه مسلم من طريق طلحة بن يحي عن أبي بردة بلفظ « **لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة** ... " الحديث . وأخرجه أبويعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه بزيادة فيه (أن النبي ﷺ وعائشة مَرَّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته ، فقاما يستمعان لقراءته ، ثم إنهما مضياً . فلما أصبح لقي أبوموسى رسول الله ﷺ فقال : " **يا أباموسى ، مررت بك**" فذكر الحديث فقال : " **أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً**".

---

(48) (حديث صحيح لغيره) رواه أحمد وأخرجه أبويعلي في مسنده والطبراني في الكبير وابن ماجة مختصراً ، انظر الصحيح المسند من فضائل الصحابة لمصطفى بن العدوي ص (234) ، وقال الألباني : إسناد حسن راجع السلسلة الصحيحة (2301) .

(49) (إسناده صحيح ورجاله ثقات) رواه ابن ماجة وأخرجه أبونعيم في الحلية (371/1) والحاكم في المستدرك (225/3 . 226) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (1100) .

(50) رواه البخاري (5048) ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم .

ولابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم (أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواج النبي ﷺ صوته – وكان حلو الصوت — فقمن يستمعن، فلما أصبح قيل له، فقال : " **لو علمت لحبرته لهن تحبيراً** " ...

قال الخطابي: قوله: " **آل داود** " يريد داود نفسه ، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود، ولا من أقاربه، كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي)(51).

استماع النبي ﷺ القرآن من الأشعريين رضي الله عنهم

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن . حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم، بالقرآن بالليل. وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار. ومنهم حكيم إذا لقى الخيل أو لقى العدو قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم** ".(52)

استماع النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان ، لأنه جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)(53).

قال الحافظ ابن حجر : (أول نزول جبريل بالقرآن كان في شهر رمضان، وأن جبريل كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في شهر رمضان وفي ذلك حكمتان: إحداهما: تعاهده .

والأخرى: تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفاً لإنزاله جملةً وتفصيلاً وعرضاً وأحكاماً)(54).

وقال أيضاً: (والمعارضة : مفاعلة من الجانبين كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع)(55).

---

(51) فتح الباري (711/8) .

(52) متفق عليه.

(53) رواه البخاري مع الفتح (40/1) طبعة الريان رواه مسلم (2307) .

(54) فتح الباري (621/8) بتصرف .

(55) المرجع السابق (660/8) .

رابعاً : استماع الكفار

لم يكن النبي ﷺ وصحابته وحدهم الذين يستمعون القرآن، ويتأثرون به، بل العجيب أن الكفار والمشركين – على الرغم من كفرهم وشركهم – كانوا كذلك يحبون استماع القرآن، ويصغون إليه أحياناً ؛ لما للقرآن من سيطرة على النفوس، وتأثير على القلوب.

استماع زعماء قريش للقرآن

روى البيهقي(56) أن جماعة من الكفار والمشركين كانوا يتسللون في ظلام الليل ليسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وقد أخذ كل واحد منهم مجلسه ليستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون القرآن ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر ، إذا بهم يتفرقون فيجمعهم الطريق فيتساءلون أين كنتم؟ فيقولون: كنا نسمع القرآن من محمد بن عبدالله ﷺ فتلاوموا على ذلك وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا لمثل هذا ، فلو رآكم بعض سفائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، وتعاهدوا على عدم العودة إلى سماع القرآن مرة أخرى ، وعلى الرغم من ذلك ، تكرر منهم هذا الأمر مرتين بعد ذلك ؛ لسيطرة القرآن على قلوبهم ، وتأثرهم بآياته ولكن يمنعهم الكبر والحسد أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وتمنوا أن ينزل القرآن على عظيم من العظماء من القريتين (مكة والطائف) قال تعالى : {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (31) سورة الزخرف .

استماع الوليد بن المغيرة للقرآن

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أباجهل فأتاه ، فقال : يا عم ! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فأنت أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر لما قال. قال: وماذا أقول ، فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله، وأنه ليعلو ولا يعلى، وأنه ليحطم ما تحته .

---

(56) رواه البيهقي في دلائل النبوة (206/2) عن الزهري مرسلاً .

قال : لا يرضى عنك قولك حتى تقول فيه قال: قف عني حتى أفكر فيه . فلما فكر، قال : إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا...} [المدثر:11-30](57).

استماع نساء المشركين وأبنائهم للقرآن

عن عروة بن الزبير ؛ أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ قالت: " **لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشياً. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين** "(58).

استماع عتبة بن ربيعة للقرآن

عن محمد بن كعب القرظي قال : حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً، وهو في نادي قريش !، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ﷺ ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! قم إليه،فكلمه،فقام إليه عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال :يا ابن أخي !، إنك منا حيث قد علمت من السطة (المنزلة الرفيعة) في العشيرة ،والمكان في النسب ، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت بة جماعتهم ،وسفهت به أحلامهم ،وعبت به آلهتهم ودينهم ،وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها،لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال رسول الله ﷺ :" **قل يا أبا الوليد ! أسمع** " قال : يا ابن أخي !، إن

---

(57) رواه البيهقي في الدلائل وقواه (199/2) وأخرجه الحاكم في المستدرك (506/2) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجه وأقره الذهبي ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (323/1) (ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وسنده جيد) . وصححه محقق سيرة ابن هشام رقم (368) طبعة مكتبة الصحابة ، **وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي** : فالحديث ضعيف والله أعلم ، راجع الصحيح المسند من أسباب النزول ص (225) طبعة مكتبة ابن تيمية الطبعة الرابعة .

(58) رواه البخاري. راجع الفتح (476/1)

كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً (كانوا يُسمون التابع من الجن رئياً) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوي منه – أو كما قال له – حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: " **أقد فرغت يا أباالوليد ؟** " . قال: نعم ، قال: "**فاسمع مني**" قال: أفعل، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم {حم (1) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} (4،1) سورة فصلت

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبه أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، يسمع منه ، قم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد(59) ، ثم قال: " **قد سمعت يا أباالوليد ! ما سمعت، فأنت وذاك**" فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أباالوليد ؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه مُلْكُكُم ، وعِزُّه عِزُّكم ، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال: هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم.

وفي رواية أخرى أن عتبه استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} (13) سورة فصلت فقام مذعوراً، فوضع يده

---

(59) وذلك قوله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (⌨🗏) سورة فصلت.

على فم رسول الله ﷺ يقول : أنشدك الله والرحم ! وذلك مخافة أن يقع النذير، وقام إلى القوم فقال ما قال(60).

ومن هذا المنطلق – ألا وهو تأثير القرآن على النفوس ، وسيطرته علي القلوب – بدأ الكفار والمشركون يخططون لصرف الناس عن استماع القرآن، حتى لايحولهم من الكفر إلى الإيمان ، ومن الظلمات إلى النور ، فإذا بهم يتواصون فيما بينهم أن محمداً ﷺ ساحر، وأن قوله سحر يفرق بين الناس فلايسمعوا منه شيئًا مخافة أن يسحرهم بكلماته، وذلك حكاه القرآن عنهم : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} (26) سورة فصلت.

وأخذ الكفار يشيعون هذا الخبر في القبائل المجاورة ، بل وفي الوفود التي تفد إلى مكة في مواسم الحج .

استماع الطفيل بن عمرو الدوسي للقرآن

وتحكى لنا كتب السيرة قصة رجل من اليمن من قبيلة دوس قدم مكة عام (11) من النبوة ألا وهو الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ فاستقبله أهل مكة قبل وصوله إليها ، وبذلو له أجل تحية وأكرم تقدير ، وقالوا له :يا طفيل ! ، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرّق جماعتنا ، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً.

يقول الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسفًا (قطناً)؛ فرقًا من أن يبلغني شيئ من قوله،

---

(60) (إسناده حسن) أخرجه ابن إسحق في المغازي (185/1) من سيرة ابن هشام بسند حسن عن محمد ابن كعب القرظي مرسلاً ، ووصله عبد بن حميد وأبويعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر ﷺ تفسير ابن كثير (90/4-91) وسنده حسن إن شاء الله . قاله العلامة الألباني في تخريج فقه السيرة ص (116) .

وقال صاحب المنهج الحركي للسيرة النبوية في التعليق على حديث عتبة وموقف النبي ﷺ معه : (لقد كان رسول الله ﷺ يحترم خصمه ، ويتكلم معه بأدب بالغ ، وتقدير جم ، ويكنيه بكنيته ، وبذلك يعلمنا أدب الحوار . وأهم نقطه فيه أن يتسع صدرنا لاستماع وجهة نظر الخصم ، مهما كانت وجهة النظر هذه مرفوضة أو مقبولة عندنا ، سامية أو منحطة لأننا بذلك نضمن أن يستمع خصمنا لنا ، ويتسع صدره لوجهة نظرنا ، وما لم نملك هذه الخاصية الهامة ، فلن نربح الحوار مع عدونا ..) .

قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا هو قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي، واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإذا كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً رددته ، فمكثت حتى انصرف إلى بيته ، فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فعرضت عليه قصة مقدمي، وتخويف الناس إياي ، وسد الأذن بالكُرْسف ، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض عليَّ أمرك، فعرض عليَّ الإسلام ، وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ،فأسلمت وشهدت شهادة الحق(61).

استماع جبير بن مطعم للقرآن

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه) .

وفي رواية : فلما وصل قوله تعالى : {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (35) سورة الطور. كاد قلبي أن يطير (62) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – :

(وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر فكان هذا سبب هدايته : ولهذا كان أحسن القراءات ما كان بخشوع القلب) (63).

حادثة سجود المشركين عند استماع القرآن

---

(61) (خبر ضعيف) أورده ابن كثير في البداية نقلاً عن ابن إسحاق بغير سند وقال ابن كثير : هكذا ذكر ابن إسحق قصة الطفيل مرسلة بلا إسناد، وقال ابن حجر في الإصابة: ذكرها ابن إسحق في سائر النسخ بلا إسناد ...راجع تخريجها كاملاً في سيرة ابن هشام تحقيق مجدي فتحي السيد رقم (371) طبعة دار الصحابة . طنطا .

وإنما ذكرناها هنا للدلالة والتنبيه على ضعفها ، وذلك لاشتهارها بين الخطباء والوعاظ ، وكذلك قصة إسلام عمر بن الخطاب المشهورة في قراءته لسورة طه بعدما اغتسل في بيت أخته فاطمة ... فهي قصة ضعيفة ومتنها منكر جداً ، راجع تخريجها في كتاب السيرة النبوية الصحيحة د/ أكرم ضياء العمري (180/1) طبعة . مكتبة العلوم والحكم .

(62) متفق عليه: البخاري (247/2)، مسلم (463).

(63) فضائل القرآن لابن كثير ص (175) .

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : (سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس) (64) .

لم تكن علة سجود المشركين مع الرسول ﷺ تلك المقالة التي يقولون أن الشيطان ألقاها على لسان رسول الله وهو يتلو القرآن (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) (والغرانيق): الطير البيض المعروفة، واحدها: غرنوق، ويزعمون أن الأصنام ترتفع إلى الله كالطير البيض فتشفع عنده لعابديها ، قبحهم الله ما أكفرهم، ومسألة الغرانيق مع استحالتها شرعاً ، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب. قال ابن كثير: إنه لم يرها مسندة من وجه صحيح. وقال الشوكاني: لم يصح شيء من هذا، ولا يثبت بوجه من الوجوه، وعن البزار أنها لا تروى بإسناد متصل، وعن البيهقي أنه قال: هي غير ثابتة من جهة النقل، وقال ابن خزيمة هذه القصة من وضع الزنادقة(65).

سبحان الله العظيم ! لم يتمالك المشركون أنفسهم عندما تلا النبي ﷺ على مسامعهم سورة النجم كاملة إلا أن يخروا سجداً لله رب العالمين ؛ وذلك لبلاغة القرآن وتأثيره على نفوسهم .

فما بال المنتسبين إلى هذا الدين يسمعون القرآن ولا يحرك فيهم ساكنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(64) رواه البخاري (4862) .

(2) أضواء البيان للشنقيطي (5/286-288) وراجع كتاب العلامة الألباني (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) .

خامساً : استماع الجن

لقد وردت الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة على أن الجن يستمعون القرآن، بل ويتأثرون بسماعه، وبوعده ووعيده، حتى يدفعهم إلى الدعوة للقرآن والإيمان برسول الله ﷺ .

استماع الجن للقرآن

قال تعالى : {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} (2.1) سورة الجن .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – :

(يقول الله تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به، وصدقوه وانقادوا له)(66) .

قال تعالى : {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (32.29) سورة الأحقاف .

قال سيد قطب –رحمه الله – : (قصة النفر من الجن الذين استمعوا لهذا القرآن، فتنادوا بالإنصات ، واطمأنت قلوبهم إلى الإيمان ، وانصرفوا إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الله ويبشرونهم بالغفران والنجاة ، ويحذرونهم الإعراض والضلال. سياقة الخبر في هذا المجال ، بهذه الصورة ، وتصوير مس القرآن لقلوب الجن هذا المس الذي يتمثل في قولهم : (أنصتوا) عندما طرق أسماعهم ، يتمثل فيما حكوه لقومهم عنه ، وفيما دعوهم إليه . كل هذا من شأنه أن يحرك قلوب البشر ، الذي جاء القرآن لهم في الأصل وهو إيقاع مؤثر ولا شك ، يلفت هذه القلوب لفتة عنيفة عميقة) (67) .

---

(66) تفسير ابن كثير (428/4) طبعة المكتبة القيمة .

(67) تفسير في ظلال القرآن (3269/6) طبعة دار الشروق .

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : (انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ (68)، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلتْ عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ، قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} (2.1) سورة الجن .

فأنزل الله على نبيه ﷺ : {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ } وإنما أوحي إليه قول الجن)(69) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

(وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان ، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان . وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة . وفيه مشروعيتها في السفر . والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضي الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون) (70) .

---

(68) سوق عكاظ : هو موسم معروف للعرب ، بل كان أعظم مواسمهم ، وهو نخل في واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال ، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن .

قال البكري : أول ما أحدثت قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة ، فخرج الخوارج الحرورية فنهبوها فتركت إلى الآن ، وكانوا يقيمون به جميع شوال يتبايعون ويتفاخرون وتنشد الشعراء ما تجدد لهم ، وقد كثر ذلك في أشعارهم لقول حسان :

سأنشر إن رضيت لكم كلاماً ينشر في المجامع من عكاظ . راجع فتح الباري (539/8) .

(69) متفق عليه ، راجع اللؤلؤ والمرجان ص (93) ح (259) .

(70) فتح الباري (543/8) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – بعد ما أورد الطرق والروايات التي تفيد استماع الجن للقرآن :

(فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصداً فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله – عز وجل – وشرع الله تعالى لهم على لسانه ماهم محتاجون إليه في ذلك الوقت وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – (ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم) ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأما ابن مسعود رضي الله عنه فإنه لم يكن مع النبي ﷺ حال مخاطبته الجن ودعائه إياهم وإنما كان بعيداً منه ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقي ، وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد وهي عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم) (71) .

سجود الجن عند استماع القرآن

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – (أن النبي ﷺ سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس)(72) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

قوله (والجن) كأن ابن عباس استند في ذلك إلى إخبار النبي ﷺ إما مشافهة له ، وإما بواسطة ، لأنه لم يحضر القصة لصغره ، وأيضاً فهو من الأمور التي لا يطلع الإنسان عليها إلا بتوقيف ، وتجويز أنه كشف له عن ذلك بعيد لأنه لم يحضرها قطعاً)(73) .

استماع الجن لسورة الرحمن

عن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : **« لقد قرأتها على الجن ليلة فكانو أحسن مردوداً**

---

(71) تفسير ابن كثير (166/8) طبعة المكتبة القيمة .

(72) فتح الباري (480/8) .

(73) فتح الباري (645/2) .

منكم، كنت كلما أتيت على قوله : {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}قالوا: "ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد" (74).

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : موضحاً حكمة اختيار سورة الرحمن لقراءتها على الجن (وقرأ عليهم (الجن) السورة التي فيها خطاب الفريقين (الإنس والجن) وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن) (75) .

وقال أيضاً في موضع آخر في معرض حديثه عن مؤمن الجن هل يدخل الجنة أم لا ؟

(الصحيح أن مؤمني الجن كمؤمني الإ نس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف ، لقوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (47.46) سورة الرحمن .

فقد امتن الله تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم ، وأيضاً فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى) (76).

---

(1) (حديث حسن) رواه الترمذي (3522) وحسنه الأ لباني في صحيح سنن الترمذي (2624) ، وفي السلسلة الصحيحة (2150)

(75) تفسير ابن كثير (170/4)

(76) تفسير ابن كثير (171/4) بتصرف يسير جداً .

سادساً : استماع النصاري

لقد أخبرنا القرآن أن النصاري استمعوا له ، وتأثروا به ، مما دفعهم إلى الإيمان بالرسول ﷺ والدخول في الإسلام ، بعدما فاضت أعينهم بالدمع مما عرفو من الحق .

تأثر النصارى عند استماع القرآن

قال تعالى : {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ} (84) {فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ} (85.82) سورة المائدة (77).

لقد ضرب أولئك القوم المثل الصالح ، والقدوة الحسنة ، عند استماع القرآن، فلو نظرت إليهم لوجدتهم :

1- أهل التواضع وعدم الكبر .
2- التدبر لما يسمع .
3- البكاء والخشية عند استماع القرآن .
4- الاستجابة السريعة ، وذلك يتضح في سرعة إيمانهم بالله
5- الدعاء الصالح بعد العمل الصالح .
6- مراقبة الله في السر والعلن ، ولذا وصفهم الله بالمحسنين
7- جزاؤهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار .

---

(77) يستدل كثير من دعاة (التنوير) بهذه الآية على أن النصاري أقرب الناس مودة للمسلمين ، وهذا استدلال باطل يغني بطلانه عن إبطاله ، وإنما مثلهم كمن قرأ قوله تعالى : {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ} و {لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى } واستدل بذلك على ترك الصلاة !!

ولكن نقول بإكمال الآيات يتضح المعنى المراد ويزول اللبس والغموض ، قال تعالى :{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} ، وكذلك في الآيات التي معنا بإكمالها يتضح أن هؤلاء النصاري دفعهم الاستماع للقرآن إلى الإيمان ولذا قالوا { رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} .

استماع النجاشي وأساقفته للقرآن الكريم

وهذه قصة أخرى في استماع النصاري للقرآن ، وتأثرهم به ، ترويها لنا أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنهما – وذلك عندما هاجر المسلمون بدينهم إلى الحبشة فراراً من أذى الكفار والمشركين ، ولكنه عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمناً لأنفسهم ودينهم ، فاختارو رجلين جلدين لبيبين ، وهما : عمرو بن العاص وعبد الله ابن أبي ربيعة – قبل أن يُسْلمَا – وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة ، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيرو على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي، وقدما له الهدايا ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة : صدقا أيها الملك ، فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم ولكن رأى النجاشي أنه لابد من تمحيص القضية ، وسماع أطرافها جميعاً، فأرسل إلى المسلمين ، ودعاهم ، فحضروا ، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ما كان، فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلو ا به في ديني أو دين أحد من هذه الملل ؟

قال جعفر بن أبي طالب: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، نأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – فعدد عليه أمور الإسلام – فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ماجاء من دين الله، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما

حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر: نعم: فقال النجاشي: فاقرأه عليَّ. فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعو ما تلا عليهم، ثم **قال النجاشي** : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا – يخاطب عمرو وعبد الله – فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون ، فخرجا ..."[78].

---

[78] (سنده صحيح) أخرجها ابن إسحق في المغازي (1/211-213) من ابن هشام وأحمد برقم (1740) من طريق ابن إسحق بسند صحيح ، من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – قاله الألباني في تخريج فقه السيرة ص (154) ، وقال الأرناؤوط : وهذا سنده صحيح ، في تخريج زاد المعاد (3/29) .

الفصل الرابع

صور من هجر استماع القرآن

وفيه ثلاثة مباحث :

1- الصياح والغشي عند استماع القرآن .

2- شرب الدخان في مجلس القرآن .

3- استماع الغناء .

1- الصياح والغشي عند استماع القرآن

قال الحافظ السيوطي – رحمه الله – في كتابه الأمر بالاتباع والنهي عن الإبتداع: (ومن ذلك البدع): الصياح والتغشي عند سماع القرآن والوعظ. وقد صح من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون** » (79). ولم يقل صرخنا ولا غشينا، كما يفعله الجاهلون أهل البدع)

قال محقق الكتاب: (قال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي: مر ابن عمر برجل من أهل القرآن ساقط، فقال: ما بال هذا ؟ قالوا: إنه إذا قرىء عليه القرآن، وسمع ذكر الله، سقط. فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله، وما نسقط. ثم قال: إن الشيطان ليدخل في جوف أحدهم. ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ .

وقال عمر بن عبد العزيز: **ذُكِرَ عند ابن سيرين الذين يُصْرَعون، إذا قرىء عليهم القرآن، فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت، باسطاً رجليه ،ثم يُقْرَأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه، فهو صادق.**

وأحوال الصحابه ومن تبعهم بإحسان: الخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، كأنهم بين يديه.

فهذ وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم، فمن كان مستناً، فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون، فهو من أخسهم حالاً، والجنون فنون) (80).

2- شرب الدخان في مجلس القرآن

(ومن العادات السيئة التي انتشرت بين الناس بلا نكير شرب الدخان في مجلس القرآن، على الرغم من أن المقام مقام عبادة لله تعالى بسماع كلامه، والتدبر في

---

(79) (حديث صحيح) : روه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (2455) .

(80) الأمر بالاتباع والنهي عن الإبتداع للسيوطي ص (274) تحقيق مشهور حسن آل سلمان ، دار ابن القيم .

معانيه، ومقام تعلم وتفهم لأوامره ونواهيه، فكيف يعرض فيه العبد عن سيده، ويتشاغل عنه بشهوته ؟!

وينبغي أن يجتنب اللهو وشرب الدخان حال سماع القرآن من المذياع كما يجتنب ذلك حال سماعه من القارىء في المجلس، إذ لا فرق عندنا بين الحالين. فالمتلو فيهما قرآن، والمجلس مجلس سماعه وموطن عبادة لله. واللهو والشرب للدخان ملهاة عنها، وإعراض إلى مافيه حظ النفس وشهوتها)(81).

3- الاستماع إلى الغناء

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – :

(وقد تواتر عن الشافعي أنه قال: (خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير (82) يصدون به الناس عن القرآن) .

فإذا كان هذا قوله في التغبير ، وتعليله أنه يصد عن القرآن – فليت شعري – ما يقول في سماع التغبير عنده كتفلة في بحر . قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم (83).

قال الإمام المناوي : يا لها من صفقة في غاية الخسران حيث باع سماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والألحان ، والجلوس على منابر الدر والياقوت بالجلوس في مجالس الفسوق.

---

(81) القرآن آداب تلاوته وسماعه لحسنين محمد مخلوف ص(19-20) بتصرف .

(82) التغبير : شعر في الزهد يغني به مغن أو ينشد به منشد ، فيضرب بعض الحاضرين بعضاً أو نحوها على مخدة ونحوها على توقيع غنائه .

ومن ذلك الأشرطة الكثيرة التي انتشرت ، فيها الأناشيد مصحوبة بالدف وغيره ، ويسمونها أناشيد إسلامية ، وللأسف فإن بعضها قد اشتمل على أخطاء عقائدية وألفاظ غير شرعية ، وقد صدت الناس عن سماع القرآن . فإنا لله وإنا إليه راجعون . راجع كتاب القول المفيد في بيان حكم الأناشيد للأخ عصام بن عبدالمنعم المري . طبعة مكتبة الفرقان – الإمارات .

(83) إغاثة اللهفان ص (177) طبعة المكتبة القيمة .

قال الإمام ابن القيم: فمن خواصه – أي الغناء – أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً. لما بينهما من التضاد.

فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ، ومجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان والغناء بأمر بضد ذلك كله.(84)

أدلة تحريم سماع الغناء

1- قال الله عز وجل : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ } (6) سورة لقمان .

قال ابن مسعود : (واللهو هنا الغناء) ، وكذلك قال عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم .

2- قال تعالى : {وَأَنتُمْ سَامِدُونَ} (61) سورة النجم قال ابن عباس : هو الغناء، وكذلك قال مجاهد ، يقول أهل اليمن : سمد فلان إذا غني .

3- قال تعالى : {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ } (64) سورة الإسراء

قال مجاهد هو الغناء والمزامير .

4- قال ﷺ: **"ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر (الفرج) والحرير والخمر والمعازف"** (85)، والمعازف هي آلات اللهو كلها، لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك.

5- قال ﷺ: **"ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير"** (86).

وقد توعد مستحلي المعازف فيه بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسخهم قردة وخنازير.

---

(84) إغاثة اللهفان (193/1) طبعة المكتبة القيمة .

(85) رواه البخاري (5268) .

(86) رواه أبوداود (3689) ، ورواه ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري (4020) واللفظ له .

6- قال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل، وقال الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا، وقال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب.

7- قال الحافظ السيوطي – رحمه الله – : ومن ذلك ما أحدث من السماع والرقص والوجد، وفاعل ذلك ساقط المرءوة، عاص لله ولرسوله، وهو محظور.

وبعد فقد عرفت – أخي الحبيب – حكم استماع الغناء وأنه يجلب سخط الرحمن، فهل ترضى لنفسك بعد ذلك أن تكون من أصحاب الصفقات الخاسرة، فينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه ويحذرهم مكائد الشيطان، ولولا خوف الإطالة، لاستقصينا ماورد في ذلك، ولكن العاقل الفطن الموفق، من قبل نصح الناصح بأخصر عبارة عرف الحق، واتبعه بأدنى إشارة .

الفهرس

المقدمة

الفصل الأول : هجر استماع القرآن

الفصل الأول : استماع القرآن

- معنى السماع
فضائل استماع القرآن
1- استماع القرآن سبب لرحمة الله
2- استماع القرآن سبب لتحصيل الأجر العظيم
3- استماع القرآن وهداية الإنسان
4- استماع القرآن وتحصيل النور
- آداب استماع القرآن الكريم
- سبب هجر استماع القرآن
الفصل الثاني : أقسام الناس في سماع القرآن
- الصنف الأول
- الصنف الثاني
- الصنف الثالث
- الصنف الرابع
- فتاوى مهمة في استماع القرآن
الفصل الثالث : نماذج من استماع القرآن الكريم
- استماع الله – عز وجل -
- ما معنى استماع الله ؟
- استماع الملائكة
- استماع النبي ﷺ
- استماع الكفار

- ضعف خبر الطفيل وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما-
- بطلان قصة الغرانيق
- استماع الجن

- استماع النصارى

الفصل الرابع : صور من هجر استماع القرآن

1- الصياح والغشي عند استماع القرآن

2- شرب الدخان في مجلس القرآن

3- الاستماع إلى الغناء

- أدلة تحريم الغناء